

الاتجاه التطوري من مورغان الى ليزلي هو اثبات حول الاقتصاد "سبق ان أوضخنا أن فكرة التطور هي واحدة من الافكار القلائل" التي ظهرت في العصر الحديث وأثرت تأثيرا بالغا في كل أنماط الفكر الإنساني بحيث أصبحت هي الطابع المميز لكل من التفكير العلمي والفلسفي والأدبي والاجتماعي على السواء خلال فترة طويلة استمرت طوال القرن التاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين وفكرة التطور ليست فكرة حديثة بل أنها فكرة قديمة ترجع إلى أبعد من القرن التاسع عشر . وهذه الفكرة الفت بظلالها على معظم النظريات التي كانت معروفة بحيث هدمت بكثير من النظريات والمعتقدات والفلسفات السابقة عليها . وقد لاقت هذه النظرية من الرواج ما جعلها سمة فكرية مميزة لكل فكر في كل التخصصات بل وقد أصبحت هذه الفكرة أسلوبا ومنهجا يتبع ليس فقط في فهم الحياة والكون بل أيضاً في فهم الإنسان والمجتمع وتثل ذلك بوجه خاص في الكتابات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية والاقتصادية والتاريخية والاقتصادية وفي النظرية السياسية ، اعتباره مدخلاً عمداً البعض إليه في تفسير ودراسة الحياة الاقتصادية والفكرة الأساسية في التطورية التي تهمنا هنا فتتعلق بفكرة التقدم التي يتفق معظمه العلماء التطوريون على أنها الصفة الغالبة على الحضارة وان التدهور ليس الإحالة استثنائية عارضة مؤقتة وإن الحياة تسير بالضرورة نحو وتحقيق المزيد من التقدم والرقي فالنظم الاجتماعية والمجتمعات الإنسانية ذاتها تقدمت أو هي تتقدم بالضرورة من حالة التأخر والبدائية إلى التحضر والتمدن مارة أثناء ذلك مراحل معينة تختلف من حيث عددها وخصائصها ومقوماتها . كما يتفق التطوريون أيضاً على أن المرحلة اللاحقة فيها تكون أعلى من السابقة وأكثر رقياً وتقديماً كما أنها تهيئ الفرصة لقيام مرحلة أرقى منها هي ذاتها . لقد حاول علماء الطريقة في دراستهم للتنظيمات الاقتصادية تصنيف أنماط أساليب المعيشة المختلفة وترتيبها في نسق واحد ينبع خطأ تطوريها ويتجه من البساطة إلى التعقيد وذلك تماشياً مع فكره التطور والتي رأى معتقدوها من دارسي الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ومن الجدير باللحظة ان هذه المحاولات لم تستهدف في الواقع تفسير السلوك الاقتصادي من حيث بواعته على المستوى الفردي او من حيث ارتباطها ببعض النظم بطريقه مباشره بل ان هذه التفسيرات التطورية تقول بشكل عام ان اقتصاداً ما انما يأخذ صورته وشكله الذي هو عليه باعتباره مجرد مرحلة في سلم تطوري طوويل بدا بالجمع والالتقاط في الرعي وينتهي بمرحلة زراعيه والصناعة والانتاج والصناعي الضخم . ومراجعه التفسيرات التطورية للحياة الاقتصادية يكشف ان هذه التفسيرات قيم وهو يستطيع ان يرى نمطين من أنماط التفسير التطوري، فهناك ذلك التفسير الذي يمثله مورجان وماركس وغيرهم ويعتمد على تناول التطور وسائل الانتاج و يجعل من الاقتصاد والتطور في المجال الاقتصادي - الانتاج - الاساس في تغير وتطور المجتمع ككل . ولعل الامر يقتضي بعض التفصيل في متابعة اتجاه التفسيري التطوري واتجاه وسائل الانتاج(الأول) واتجاه العلاقة بين الوحدة الانتاج ووحدة الاستهلاك(الثاني) . مورجان يؤكد على العوامل التكنولوجية باعتبارها العامل الأساسي في حياة المجتمعات وما يلحق بها من تغيرات لعل هذا هو الذي جعلنا نقول ان كتابات مورجان كانت كتابات في الانثروبولوجيا الاقتصادية وان كان مورجان مهتماً أساساً بتطور الثقافة والحضارة الإنسانية الا انه انطلق في تحليله مرتكزاً على التكنولوجيا واساليب الانتاج وما ارتبط بها من نظم اجتماعية مختلفة وهو بهذا يختلف عن زميله التطورى السير ادوارد تايلر في محاولته وصف تطور الثقافة حيث ركز الاخير في تحليله للثقافة البدائية على العقيدة، وعموماً فقد كان بروز الجانب الاقتصادي وخاصة الجانب التكنولوجي وتركيز على وسائل الانتاج عند مورجان هو الأساس الذي انطلقاً منه اعتبار معالجه مورجان معالجه في الانثروبولوجيا الاقتصادية خاصه وان مفهوم التكنولوجيا نفسه قد ظل ملتبساً لفتره طويله مع مفهوم الظاهرة الاقتصادية ولم يكن ثمة تميز واضح بينهما . يرى مورجان ان الانسان كان في بداية حياته اشبه بالحيوان يعيش معتمدًا على قواه البدنية واسنانه مثل سائر الحيوانات الاخرى الا انه استطاع بما حببه والطبيعة به من امكانيه مبادله الاخرين الافكار والخواطر عن طريق اللغة بجانب امكانيه انتقال هذه الافكار والخواطر من جيل الى جيل بحيث تترافق معرفه الجيل الحالي نتيجة لخبرات الاجيال السابقة مجتمعه، كل هذا اتاح للإنسان التقدم من مرحله الى اخرى، ولقد كانت الادوات والأسلحة المختلفة التي اخترعها على مر الزمان هي وسائل رئيسية التي تساعده على زياده سيطرته على الطبيعة والارتفاع بنفسه وبعبارة اخرى يرى مورجان ان التقدم التكنولوجي يؤدي الى حدوث تغيرات جوهريه في النظم الاجتماعية السائد مثل العائلة ونظام الملكية والحكومية، اي ان مورجان يبدأ نظريته للتسلیم بان سياده الوسائل والاساليب الفنية التي يسيطر بها الانسان على بيئته خاصه التي يسيطر بها على مصادر العيش والغذاء ثم اتساع نطاق هذه المصادر تؤدي الى تقدم الثقافة فهناك اذا علاقه وثيقه بين اتساع وزياده موارد الرزق والعيش من ناحيه والتقدم الثقافي من ناحيه اخرى الى ذلك كان مورجان يرى ان التقدم التكنولوجي يصاحبه بالضرورة تغير في النظم الاجتماعية ومن هنا كان الانتقال من مرحله الاعتماد على الثمار البريه الى الزراعة يصاحبه ويتربّ عليه حدوث تغيرات اساسيه في شكل المجتمع نفسه وقد تغير المجتمع البشري

من النظام القبلي الى النظام المجتمع المتمدين. وهكذا فان مورجان قد تصاعد في تفسيره بحيث نجده ينطلق من متابعة التطور في الآلات والاساليب الفنية المستخدمة في الانتاج عبر العصور ليحدد شكل المجتمع وتطور نظمه المختلفة معتمدا على التطورات التي وقعت في ميدان التكنولوجية الانتاج. فمورجان يحاول في الواقع ان يقول ابعد من مجرد وصف الحياة الاقتصادية فهو يقول في الواقع ان التطور التكنولوجي هو العامل المتحكم والسيطر على شكل الحياة الاجتماعية والتطور الاجتماعي، فمرجان يرى ان الانسان يحيا عن طريق استغلال مصادر الطبيعة المستخدمة في ذلك آلات وادوات ووسائل فنيه معينه تمكنه من ذلك وتعيينه على استغلال الامثل لها. وبالنسبة للإنسان عامه بالرغم ان كل سلاله بشريه لا تعرف بالضبط ما تفعله او تعلمه السلالات الاخرى، عاش فيها الانسان في شكل جماعات صغيره وذلك في مساحات محدودة من الارض، المرحلة الثانية: المرحلة الثالثة: المرحلة الرابعة: المرحلة الخامسة : ولا زالت تفتقر الى هذا التحليل ورغم ان مرجان يكتفي في هذا الصدد بقوله للتدليل على صحة رؤيته هذه ان هذا التشكيل ضروري حتمي ويختضع للمنطق الطبيعي الانساني الضرورية لقواه ، واستخدمت النار لإزالة الاحواش وظهرت كذلك ، أولى الحيوانات المغزلية كالخنزير والدجاج والبط والاوز وقبل كل شيء الكلب